

عند ذلك يتولى اﻻ تآديهم، ويذكرهم بجبروته، ويذيقهم من بأسه، فيبدل أمنهم خوفاً، وعزهم ذلاً، ونعيمهم بؤساً (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد ﻻ رب العالمين). (وضرب اﻻ مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم اﻻ فأذاقها اﻻ لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون). (الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد).

وفي ذلك أقوى برهان على وجوده، وأكبر دليل على ألوهيته، لأن الحاسة الدينية مرتبطة أشد الارتباط ببعض الغرائز الإنسانية كغريزة الخوف والعجب والخضوع وحب البقاء، فمهما كابر الطاغية وعاند وتجلد وقاوم، لا بد أن يضعف ويخضع، ويستكين ويخضع، إذا ما شعر بيد الجبار تأخذه، وبقوة القهار تقهره.

ألا ترى إلى فرعون موسى بعد أن كان ينادي في قومه أنه ربهم الأعلى وعلا في الأرض، وجعل أهلها شيعاً، واستنكف أن يلبي دعوة موسى، ويتبع دينه معتزلاً بسلطانه، تياهاً بجناته وعالي بنيانه، لما أدركه الغرق، وظهر له ضعفه، آمن بإله موسى، وصرخ بأنه يطيع ما أطاعه ويلبي نداءه (حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين).

هكذا سنة اﻻ في تأديب الطغاة المفسدين من أفراد وأمم وجماعات وأحزاب، يتولى اﻻ تأديبهم بالبأساء، وينزل بهم صاعقة من مقتته، ويقرعههم بصفعة من سخطه عبرة لغيرهم، وإيقاظاً لأمثالهم، خشية أن يستولي اليأس من الحق على النفوس ويستبد القنوط من العدالة بالقلوب، فتمتليء قلقاً وزعزعة، واضطراباً وبلبله، بل ربما قذف بها اليأس إلى مضيق الشك في وجود الإله والارتياح في عدل الخالق، لو لا صاخرة من انتقامه تصيب المتجبرين، وقارعة من بلائه تنزل بالمفسدين فتعود النفوس إلى طمأنينتها، وتستيقظ القلوب من غفلتها، ويؤوب إليها إيمانها.

ألا ترى إلى قصة قارون، وقد كان رجلاً من بني إسرائيل، آتاه اﻻ بسطة